

الأزهر و تطوره

الأستاذ مصطفى المتولى

عضو بعثة الأزهر الشريف، جامعة بشاور.

أعز الله مصر بالاسلام على يد عمر و بن العاص رضى الله عنه، فى ظل الاسلام الحنيف و تحت رايته المظفرة، و فى السنة الحادية والستين بعد المائة الثالثة من الهجرة النبوية الشريفة، أنشأ جوهر الصقلى قائد جيش المعز لدين الله الفاطمى الجامع الأزهر، و سماه الأزهر تيمنا بفاطمة الزهراء رضى الله عنها .

و من يوم انشائه وهو جامعة اسلامية يسهم فى اداء الرسالة الاسلامية بجانب اقدم جامعة اسلامية أنشئت فى ظل الاسلام فى مسجد عمرو بن العاص بمدينة القسطنطينية بالقاهرة، و ذلك فى السنة الحادية و العشرين من الهجرة وانفرد الجامع الأزهر بالقيام على نشر رسالة السماء عبر القرون الأولى حتى اليوم، ناشرا نور الله فى الأرض مشرقا و مغربا حتى يرث الله الأرض و من عليها .

فالتاريخ يحدثنا عن علماء الأزهر فى مقاومة الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨م حتى اضطر نابليون الى العودة الى فرنسا، ثم اغتيال خليفته كليبر بيد الطالب الأزهرى سليمان الحلبي . كذلك تولى علماء الأزهر قيادة الشعب ضد الانجليز، و مواقف السيد عمر مكرم، و الشيخ عبد الله الشرقاوى و غير هما، ثم ثورة الزعيم أحمد عرابى و كان من أبطالها البارزين السيد عبد الله النديم خطيب الثورة العرابية، و الشيخ محمد عبده الاسام الدينى و المصلح الاجتماعى .

و في سنة ١٩١٩م قاد الثورة المصرية ضد الانجليز ابن الأزهري الزعيم سعد زغلول .

و في سنة ١٩٥٦م أيام العدوان الثلاثي على مصر ارتفع صوت الزعيم الراحل جمال عبدالناصر من فوق منبر الأزهري . فاستجاب الله دعاءه و كتب له النصر 'ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا' .

و في تاريخ مصر الحديث يقول جورج زيدان :

”كان القصد الرئيسي من بناء هذا الجامع إقامة الشعائر الدينية و تأييد مذهب الشيعة العلوية لاختلاط السياسة بالدين في الدولة الاسلامية من ذلك العهد . و كانت الشيعة قد قاست الأمرين تحت سلطة العباسيين من قتل و نفي . ظل الأزهري مدرسة شيعية طول خلافة الفاطميين (نحو مئتي سنة) حتى غلبهم صلاح الدين الايوبي على مصر سنة ٥٦٧هـ و كان سني المذهب و ليس له يد من مبايعة حليفه بثبته في منصبه فبايع الخليفة العباس في بغداد و خطب له في الجامع الأزهري . و كان صلاح الدين الايوبي على مذهب الاسام الشافعي فلم يضطر لتبديل كثير من طرق التعليم و قبل الناس سلطته على أهون سبيل . على انه لم يرمندوحة عن مراعاة مذهب الخلفاء العباسيين وهو مذهب أبي حنيفة، ورأى بحكمته و سداد رأيه ان يكتب ولاء المسلمين . فاجاز تعليم المذاهب الاربعة كل مذهب يحضره أهله، فال ذلك الى اتساع شهرة هذه المدرسة . و تقاطر اليها الطلاب من اربعة أقطار المسكونة ، و لم يبق التعليم قاصرا فيها على الفقه و علوم الدين و اللغة و لكنه تناول شيئا من الرياضيات والنجوم و بعض العلوم الطبيعية .

الدراسة في الأزهري:

و كانت الدراسة في الأزهري في اول أمرها تقوم على نظام الحلقات و كان الطلاب يحيطون بشيخهم ينصتون في خشوع و كان الشيخ يفتح الدرس بقراءة آيات من القرآن الكريم ، و يختمه بقوله ” و الله أعلم ،، و يقرأ الفاتحة ، و كان يفتح للطلاب باب المناقشة فيما يريدون من أسئلة.

و في بعض العصور تسرب الى الأزهري حرمة تعليم بعض العلوم العقلية التي منها العلوم الرياضية و الطبيعية و الفلسفية .

قال المرحوم على باشا مبارك في خطبه ما نصه ” و ينهى أهل الأزهري من يقرأ كتب الفلسفة و يشنون عليه الغارة و ربما نسبوه الى الكفر، . فعلوا ذلك مع جميع من اشتهر منهم بالاشتغال بالعلوم الفلسفية و الرياضية، و خاصة مع السيد جمال الدين الأفغاني الذي وفد الى مصر ١٢٨٨ هـ و رأى ما آلت اليه حالة العلم فيها حتى وقف جهوده على نشر العلوم الفلسفية والحكمية .

و الى مجهوداته و مجهودات تلاميذه من بعده يرجع الفضل في النهضة الأزهريّة الحديثة .

قبل سنة ١٢٨٨ هـ لم يكن هناك شهادات في الأزهري الا شهادة ”الاجازة“، و كانت غير رسمية .

اما بعد ١٢٨٨ هـ فقد أنشئت بعض الشهادات و هي :

١ - شهادة الاعفاء من القرعة العسكرية و كانت تعطى لحافظ القرآن الكريم — و قد الغيت هذه الشهادة بعد ما عمل بها سنين طويلة .

- ٢ - الشهادة الأهلية : وقد انشئت سنة ١٢١٤ هـ و الغرض من انشائها ايجاد أئمة و خطباء للمساجد ، وقد الغيت هذه الشهادة أيضا .
- ٣ - شهادة العالمية : و قد انشئت ١٢٨٨ هـ .

المساحات في الأزهر :

جرت العادة حتى أوائل القرن العشرين الميلادى ان تعطل الدراسة سنويا في الأزهر شهر شعبان و شهر رمضان و النصف الأول من شهر شوال و فى سكرة الحر . و كانت الدراسة تعطل فى عيدالاضحى و عاشوراء و مولد النبى صلى الله عليه وسلم و مولد سيدنا الحسين بالقاهرة و مولد السيد أحمد البدوى بطنطا احدى محافظات جمهورية مصر العربية .

مشيخته الأزهر :

لم يكن له فى العصور القديمة شيخ معين، بل كان الأُمرء والملوك يديرون شؤنه، و كان يشاركهم أساتذة المذاهب الأربعة، الحنفى - و المالكى - والشافعى - والحنبلى و فى القرن الحادى عشر المهجرى عين له رئيس عموسى لقب بشيخ الأزهر و من ذلك الوقت حتى الآن صار شيخ الأزهر لا يعين الا بامر حاكم الدولة .

بعض التغيرات التى حدثت فى الأزهر :

قلت فيما سبق ذكره ان الدراسة فى الأزهر كانت على نظام الحلقات - واستمر الحال على هذا الى أن صدرت عدة قوانين نظمت التعليم فيه . ففى سنة ١٩٢٠ م تناولته احدى القوانين على يد المرحوم الشيخ مصطفى المراغى و كان شيخا للأزهر

في ذلك الوقت - و الشيخ مصطفى عبد الرزاق و كان شيخا الأزهري ايضا .
 و قبل ذلك و في حياة الشيخ محمد عبده تناوله تطوير و تعديل، و كان الشيخ
 محمد عبده يقول "اما ان يصاح و اما أن يهدم"، .

و في العصر الاخير صار الجامع جامعة وانشئت الكليات الأزهريه الثلاث :
 كلية اصول الدين - كلية الشريعة - كلية اللغة العربية . و انتقل الطلاب
 من الأروقة التي كانوا يجعلونها بمثابة الفصول الى سباني حديثة منظمة المقاعد
 و المدرجات القائمة على اساس اختصاص كل كلية ببعض العلوم، دون العموم و الشمول
 كما كان الشأن في الأزهري القديم .

و في عام ١٩٦١م صدر القانون الثوري رقم ١٠٢ في عهد الرئيس الراحل
 جمال عبدالناصر . فانشئت كليات علميه :

كالطب، و الهندسة، و الزراعة، و التجارة، بجانب الكليات النظرية -
 أصول الدين - و الشريعة و اللغة العربية . كما انشئت كلية البنات الاسلاميه،
 و معاهد الفتيات، اعدادى و ثانوى . و ان الأمل و طيد على كلية البنات الاسلاميه
 في تخريج الام الصالحة، و الفتاة التي تقف في وجه التيارات الخليعة .

و كلية البنات الاسلاميه تفتح ذراعيها لبنات العالم الاسلامى و العربى و ذلك
 لى تعيد عهد الصديقة بنت الصديق عائشة التي قال عنها الرسول صلى الله عليه
 وسلم "خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء"، و هذا بجانب مدينة البعوث
 الاسلاميه التي تتلقى الطلاب من جميع بقاع العالم الاسلامى و العربى، و يجدون
 فيها العناية و الرعاية، من مأكى و سلبس و مسكن و بعض المساعدات المالية .

و في المادة الثانية من القانون الثورى ١٠٢، عام ١٩٦١م صار الأزهري خمس

هيئات بدلا من هيئة واحدة كانت قبل ذلك وهي :

المجلس الأعلى للأزهر - المجمع العلمي للدراسات الاسلامية - ادارة الثقافة، والبعوث الاسلامية - جامعة الأزهر - المعاهد الأزهرية .

أيا كان الأمر فقد فعلت الثورة المصرية الخير الكثير في تطوير الأزهر - و تأهيل عالم الدين للمشاركة في كل اسباب النشاط والانتاج والزيادة - و عالم الدنيا للمشاركة في الدعوة الى سبيل الله بالحكمة و الموعظة الحسنة . بجانب هذا ايضا فتحت كلية الشرطه أبوابها لحاملي ثانوية الأزهر و كذلك الحربية والفنية العسكرية .

ولا تزال العناية بالأزهر من قبل المسئولين قائمة حتى وقتنا هذا - ففي جريدة الأهرام القاهرية عدد الثلاثاء ١٤ أكتوبر ١٩٧٥، و تحت عنوان :

التعليم الأزهرى - التوسيع فى قاعدته - قالت :

”زار فضيلة الدكتور محمد حسن الذهبى وزير الاوقاف و شئون الأزهر ادارة المعاهد الأزهرية بمناسبة بدء العام الدراسى الجديد و بحث مع و كيل الوزارة لشئون المعاهد الأزهرية توفير الاسكانيات اللازمة لتنفيذ المشروع الذى تقدم به فضيلة الدكتور عبد الحلیم محمود، شيخ الأزهر، بالتوسيع فى قاعدة التعليم الأزهرى تنفيذا لتوجيهات الرئيس محمد أنور السادات بأن يدخل تعليم الأزهر و حفظ القرآن الكريم كل بيت“ .

و أشير بأن هذا الأمر ليس قاصرا على مصر و حدها بل على كل الدول الاسلامية والعربية أن تطبق هذا المفهوم لما فيه الخير و الصلاح للمجتمع . لقد نسى المسلمون مبادئ دينهم الذى انحرفوا عنه و السبب واضح فى ذلك

لأنهم تركوا كتاب الله و رآهم ظهريا و تناسوا تعاليم المصطفى صلى الله عليه وسلم . و قلدوا المنحرفين عن الحق و انصواب في عاداتهم و تقاليدهم حتى ضعف شأنهم و زالت مهابتهم من النفوس، و صدق الله اذ يقول ”ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم“، من اجل هذا حاول الاستعمار جاهدا في محاربة الأزهري، و قد أصاب الأزهري من جراء ذلك شيئا من الضعف و لكنهم لم يستطيعوا القضاء عليه، لانهم يدركون ما للأزهري في نفوس المسلمين من قداسة و تعظيم، و في هذا المجال أذكر قول المستشرقين في مطلع القرن العشرين :

”ان الاسلام تتمركز مهابته اليوم في ثلاثة :

الكعبة . و القرآن الكريم . و الأزهري .

قال أحمد شوقي في مدح الأزهري :

قم في قم الدنيا و حي الأزهري و اثر على سمع الزمان الجوهرا
و اذكره بعد المسجدين (١) معظما لمساجد الله الثلاثة مكبرا

و قال فيه حافظ ابراهيم :

يا معهدا افنى القرون جداره و طوى الليالي ركنه و الأعمرا
و شى على يبس المشارق نوره و أضاء أبيض لجها و الأحمرا

(١) المسجد الحرام و المسجد الأقصى .